

الخصائص

وهذا مذهب في هذه اللغة طريف غريب لطيف . وهو فقهها وجامع معانيها وضامٌ نَشَرها . وقد هممت غير دَفُوعَة أن أنشئ في ذلك كتابا أتقصِّى فيه أكثرها والوقت يضيق دونه . ولعله لو خرج لَمَما أقنعه ألفُ ورقة إلا على اختصار وإيماء . وكان أبو علي C يستحسن هذا الموضوع جدًّا وينبئه عليه ويُسَرُّ بما يُحضره خاطرُه منه . وهذا باب إنما يُجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجرِّدَة من الألفاظ وليس كالاقتناع الذي هو من لفظ واحد فكأن بعضه مَنذِبَةٌ على بعض . وهذا إنما يعتنق فيه الفكرُ المعاني غير منبتهه عليها الألفاظ . فهو أشرف الصنعتين وأعلى المأخذين . فتفطَّـن له وتأنَّ لجمعه فإنه يؤنقك ويُفئ عليك ويبسط ما تجعِّد من خاطرك ويُرِّيك من حِكَم الباري - عزَّ - اسمه - ما تقف تحته وتسلسلِّم لعظم الصنعة فيه وما أُودِعَتْه أحضانُه ونواحيه باب في الاقتناع الأكبر . هذا موضع لم يسمِّه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي - C - كان يستعين به ويُخلد إليه مع إعواز الاقتناع الأصغر . لكنه مع هذا لم يسمه وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويسُتروح إليه ويتعلَّـل به . وإنما هذا التلقيب لنا نحن . وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن . وذلك أن الاقتناع عندي على ضربين : كبير وصغير